

Research Africa Reviews Vol. 2 No. 3, December 2018

These reviews may be found on the RA Reviews website at:

<https://sites.duke.edu/researchafrica/ra-reviews/vol-2-issue-3-december-2018/>

مراجعة كتاب:

Bakary Sambe, Contestations islamisées : Le Sénégal entre diplomatie d'influence et islam politique, Préface de Mohamed-Chérif Ferjani Afrikana Editions - Vaudreuil-Dorion (Canada), 2018, 238 pp. ISBN-10: 2924928036.

بَكْرِي سامب، احتجاجاتٌ مُؤسَّمةٌ: السِّنْغَالُ بَيْنَ دِبْلُومَاسِيَّةِ النُّفُوزِ وَالْإِسْلَامِ
السِّيَاسِيِّ، تَصْدِيرُ: محمد شريف فَرْجَانِي، مَنَشُورَاتُ أَفْرِيكَانَا،
قَوْدْرُوس-دُورِيُون (كَنَدَا)، 2018م، 238 ص.

Reviewed by Khadim Ndiaye/ translated by Ousmane Daiw, Al-Azhar University, Cairo

لأنها تعالج موضوعاً حساساً؛ -وهو الدين-؛ فإن كتابات "بَكْرِي سامب"²؛ تشير في بعض الأحيان؛ انفعالاتٍ متحمسة. فأصداره الجديد الذي رأى النور في زخم الاستعداد للاحتفال بـ"المَعَال"³؛ كَرَّسَهُ لما سَمَّاهُ "احتجاجاتٌ مؤسَّمةٌ، ودبلوماسيةُ النفوذ". وهو كتاب؛ لا شك؛ سوف يَكْثُرُ؛ هو الآخر؛ حوله الكلام.

لقد أحببتُ سَعْيَ المؤلف الذي أخذ في الحُساب انتقادات الماضي؛ إذ قَرَّرَ تطويرَ تحليله للمسألة الإسلامية في "السِّنْغَال". وهو سلوكٌ محمود. ذلك أن الانفتاح على الانتقادات البناءة؛ هو أفضل وسيلة لتحسين النَّتَاج الفكري.

يُعَرِّدُ "بَكْرِي سامب" خارج السَّرْبِ الذي يتبنَّى نظرةً كلاسيكيةً ثابتةً عن الصلات الرابطة بين رجال الدين، وأرباب السلطة الزمنية؛ وهي النظرة التي يتبنّاها بعضُ الكُتَّاب؛ أمثال "كريستيان كُولُون". يأخذ المؤلف في اعتباره ما سَمَّاهُ بـ"الْوَعْيِ الطَّرِيقِيِّ [الصُّوفِيِّ] الجَدِيدِ"؛ حيث يُتَّاح لنا الوقوف على حالات دينامية، وعلى أخرى قطيعة. هذا الوعي الجديد؛ تحمله فئة من (المواطنين شبه عادييين)؛ (يتبنَّون استراتيجيات تَخْتَصُّ بِهِمْ؛ ولا يستثنون منها: السعي للاستيلاء على السلطة).

& & &

يستعرض المؤلف أيضاً استعراضاً استرجاعاً للتحديات الجديدة ذات الصلة بـ(الظواهر العابرة للأوطان)، والتي تؤثر في (رجال الإسلام السياسي الذين يبحثون عن معالم ارتكاز، وعن فضاء وزمان).

يقرِّرُ المؤلف وجودَ طابع؛ يَصْطَبِغُ أكثر فأكثر بسمات "الظواهر العابرة للأوطان" في الفاعلين وفي الأيديولوجيات.

لكنه يرسم قبل ذلك خريطة للفاعلين [الذين ينشطون] في مسألة "المستعربين"، وفي الاحتجاجات الإسلامية بالسِّنْغَال. هكذا تم دراسة حركات؛ مثل "جماعة عباد الرحمان"، و"دار الاستقامة"، و"حركة الفلاح" إلخ. كما تم أيضاً معالجة التهافتات التعليمية التي ورثناها من الاستعمار، وإحباطات المستعربين، و"الصدام" الشهير بين "نماذج" [الأنظمة] التعليمية [المختلفة]. ترتفع أصوات من داخل الطرق [الصوفية]؛ تُسَمِّعُ [عاليًا] انتقاداتها للسلطة السياسية. ويرى المؤلف أن (الطرق [الصوفية] أصبحت جهات إنتاج جديدة للنقد السياسي). وقد درس المؤلف من

داخل الطريقة المريدية -على سبيل المثال- حالة البعض من حملة الخطابات الجديدة؛ أمثال "سرنج أحمد الرفاعي" ابن "سرنج فاضل امباكي" (ثاني خلفاء المريدين). وهو يتميز بخطبه ومواعظه عن "المسائل الاجتماعية السياسية التي تجذب العديد من الشباب الذين يبحثون عن التجديد داخل الطريقة". وفي السياق نفسه تقع التوبيخات التي يبدأ فيها ويعيد "سرنج فاضل امباكي جُمادى"، إمام جامع "دار التنزيل" بـ "طوبى"، فهي لا تخطنها العين! إنه خطاب نابذ للطبقة السياسية، وانتقاد لاذع للقضاء، وللمؤسسات التي لا تمثل المواطنين. ويرى "بكري سامب" في "سرنج فاضل امباكي جُمادى" (أنموذجا لشكل جديد من الاحتجاج المؤسّم لم يعد خاصية للحركات السلفية).

& & &

إن للجامعين وأعضاء المجتمع المدني موقعهم في هذه الخريطة المرسومة؛ في دعوتهم إلى مزيد من الحوار بين الاتجاهات المختلفة للإسلام السنغالي؛ في "إطار وُحدوي"؛ يدعمه ويتبناه فاعلون مثل "شيخ غي"، و"عبد العزيز امباكي-مجالس"، و"سرنج شيخ تجان سي-الأمين"، و"قائس سار صو"، و"ممدو جوف"، و"بندا امباو"، والإمام "أمدو مختار كتي"، و"شيخ مختار كيبى" المنتمى إلى "التجمع الإسلامي بالسنغال" «Rassemblement islamique du Sénégal (RIS)». هذا؛ ولم تكن النشاطات النسويات؛ بدعا من الأمر؛ فقد ذكر المؤلف وضعية "سُخن مَي امباكي-جميل"؛ وهي ناشطة نسوية؛ وشابة تنسب إلى أسرة مؤسس الطريقة المريدية.

ومن غرائب الأشياء التي استرعى انتباهنا: إعلان بعض المسيحيين السنغاليين رغبتهم في مقاطعة زهد أهلهم عن الفضاء العام والسياسي. وتعتبر جمعية «Synergie Chrétienne et Citoyenne» [التأزر المسيحي الوطني] وضع القرارات السياسية والمجتمعية، واختيارها؛ مهمة تبشيرية حقيقية.

& & &

غير أن الجانب الذي لفت نظري أكثر؛ لكونه داخلا في صلب انشغالاتي الشخصية؛ هو مسألة "دبلوماسية النفوذ" التي تحدّث عنها المؤلف باستفاضة.

يخبرنا "بكري سامب" أن (منطق "النفوذ" في السياق الدولي؛ بدأ يحلّ -باطراد- مكان منطق "القوة"). وقد أضحى (الإسلام بمثابة "لقطة" لدبلوماسية النفوذ). وتدرك القوى الغربية مدى كفاية دبلوماسية الظاهرة الدينية؛ فتستخدمها حين تشاء. فالسفراء الأوروبيون يجولون في "بلاط" خلفاء الطرق الصوفية في "طوبى"، و"تواوون"، و"اندياسان"، و"يوف" إلخ... وبالطريقة نفسها؛ يشاركون في كبريات الاحتفالات الدينية للبلاد. فقد بادرت "فرنسا" إلى وضع برنامج للمنح المخصصة للدراسات الدينية. ونظمت سفارة "ألمانيا" (في عام 2013م مثلا) رحلة للقيادات الدينية الشابة إلى "برلين"؛ لملاقاة السلطات، والذهاب إلى مبنى "البوندستاغ"⁴. ولـ "ألمانيا" أيضا حضورها بواسطة مؤسساتها: فـ "كونراد أدنوير" (Konrad Adenauer) نشطة في دعم الحوار بين الأديان.

و"إسرائيل"؛ من ناحيتها؛ تُجرب حظها من بعض سنين؛ (في لعبة النفوذ القائمة على الدعامة الدينية؛ خصوصا في دعوتها أئمة وعلماء سنغاليين لزيارة القدس). فإسرائيل تريد (الالتفاف حول عقبة الطابع المؤسّم للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني).

وفي البلاد العربية والإسلامية؛ يذكر المؤلف أن "الجامعة الإسلامية" بالمدينة تنافس "الأزهر الشريف"؛ باعتبار الأولى: قطبا يدور حول رحاه نشر الأيديولوجيا. وقد بدأ العداء بين السعودية وبين إيران يلقي بظلاله على "أفريقيا"، وعلى "السنغال" خاصة. فمؤسسة "المُزدهر الدولية" (Institut Mozdahir International (IMI) ذات الانتماء الشيعي؛ تبني قرى بيئية، وتقيم محطات إذاعية طائفية؛ كالتى أقامتها في ضاحية "دكار"؛ في حين أن "السعودية" تُعزّر حضورها من خلال نشاط دعوي مكثف؛ يعتمد على وسطاء مثل "حركة الفلاح"، و"دار الإسقامة"؛ القريبتين من الاتجاه الأيديولوجي الوهابي.

أما "إيران"؛ فعلاوة على إنشاءها مدارس ثانوية على غرار "الزهراء"؛ فإنها نجحت في تأسيس جامعة في قلب "دكار"؛ سميت: "جامعة المصطفى" الواقعة في حي "مزمور"؛ وهي تستقبل طلبة من "السنغال" ومن دول المنطقة. أما الطلبة التي يتخرجون من هذه الجامعة؛ فقد تتوفر لهم فرص إقامة دراسية في كبريات "خوزات" التبحر المعرفي الإيراني؛ في "قم" مثلاً. وثمة شخصيات؛ مثل "شريف أمبالو"؛ يسعون جاهدين للدفاع عن "هوية شيعية أهلية"؛ تمتاز عن طائفة اللبنانية التي يتزعّمها: "الشيخ عبد المنعم الزين".

& & &

جاءت الردود بلا تأخر؛ إذ قاد "عبد الله فال اندز جينغ" المعروف باسم "عبد الله بابا جينغ" مع المحطة الإذاعية "ليبرال إف. إم" ومدرسة "الحنفية" = هجوما مضادا للشيعية. فقد انعقد بـ "دكار" في شهر أغسطس عام 2018م "مؤتمر متخصص لمحاربة استراتيجيات التقارب لدى الشيعة مع الطرق الصوفية".

ولم تتأخر "تركيا" عن اللحاق بالركب. بل حتى المنافسة الجارية بين "المغرب" و "الجزائر"؛ ألفيناها تلقي بظلالها على المجال الديني. إذ أفاد المؤلف أنه (في سبيل الرد الحازم على الحملة الدبلوماسية المغربية)؛ فإن "الجزائر" نجحت في أن تجد وسطاء في الأوساط الدينية ذات النفوذ في بلاد "الساحل"؛ وذلك من خلال تعبئة "الشيخ ألفا داهما كونتا" بـ "مالي"، و "بوريما داوود" بـ "النيجر"، و "بوريما ويدراغو" بـ "بوركينافاسو"، و "إسماعيل ديم" بـ "السنغال"، والإمام "أحمد مزلتلا" بـ "نيجيريا"؛ على الرغم من "الضغوطات" المغربية، وشبكاتهما في مختلف هذه البلدان).

وهكذا يقرر المؤلف أن اللجوء إلى مهمة دينية مزعومة؛ باعتبارها وسيلة للتمدد الأيديولوجي؛ قد تنول إلى أداة للسياسة الخارجية.

& & &

هذه المفردات التي يستخدمها "بكري سامب"؛ هي التي استخدمها "شيخ أنت جوب" في مقالته: [Alerte sous les Tropiques] "تحذير تحت المدارات الإستوائية"؛ نشرت في شهر ديسمبر؛ عام 1955م في مجلة (بريزانس أفريكن: «Présence Africaine» [=الحضور الإفريقي]).

فقد رسم مؤرخنا لنفسه مهمة تحليل ما سمّا: (موقف العالم الخارجي اتجاه إفريقيا). وكان يرى أن ثمة ثلاث تيارات تهدد "إفريقيا" آنذ؛ وهي: الغرب، والعالم العربي، وأمريكا. لم يكن "شيخ أنت جوب" متفطناً إلى الأطماع الإيرانية أو التركية؛ في وقت لم تكن فيها ظاهرة، أو موجودة. وقد لفت الانتباه في الوقت نفسه إلى ضرورة القيام بـ (جرد للقوى التي تتنازع إفريقيا). وهذا العمل هو بعض ما قام به "بكري سامب" اليوم في كتابه هذا.

كان "شيخ أنت جوب" يدعو إلى تعرية (الأطماع التوسعية التي يخفونها؛ على نحو مضحك؛ تحت غطاء ديني)؛ وتطرق إلى كون (العلاقة الدينية؛ مسوغة كاذبا؛ ينبغي استبعاده بعناية؛ حتى نتجنب الوقوع في [شراك] التقديس).

ونحن نرى أن "بكري سامب"؛ سار على خطى "شيخ أنت جوب"؛ دون أن يعي ذلك. فقد واصل التفكير الذي ارتسمه "شيخ أنت جوب" في هذا المجال المحدد إبان الخمسينيات [من القرن الماضي].

إن تأدية هذا التفكير لضرورة في المقام الأول، وحرى بنا أن نستعجل في تسليط الضوء على القوى التي تعتبر "إفريقيا" ميدان توسعها، وتمدها، وتلجأ إلى الدين، وإلى وسائطه.

على الرغم من بعض اجتهاداته القاطعة استعجالاً؛ فإننا ننصح بقراءة كتاب "بكري سامب"؛ كلاً من صانعي القرار، والباحثين، وسائر المهتمين بالإسلام السياسي ومسألة دبلوماسية النفوذ الديني في "إفريقيا".

الهوامش:

1. "خادم انجاي": مؤرخ وفيلسوف.
2. "بكري سامب": أستاذ وباحث بجامعة غاستون برجي (السنغال)، يحمل دكتوراه في العلوم السياسية من معهد العلوم السياسية بجامعة (ليون) الفرنسية، وماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة (Université Lumière Lyon 2)، ومؤسس ومدير المعهد البحثي الإفريقي: (Timbuktu Institute African Center for Peace Studies). نشر بالفرنسية عام 2011م: (Islam et diplomatie: la politique africaine du Maroc)؛ الإسلام والدبلوماسية: السياسة الإفريقية للمغرب، [منشورات مرسم]، وفي عام 2015م أصدر: (Boko Haram: du problème nigérian à la menace régionale): بوكو حرام: من المشكلة النيجيرية إلى التهديد الإقليمي [منشورات تمبكتو]. صَنَّفَهُ جريدة [New African Magazine] واحدًا من المثقفين الخمسين (50) الذين يساهمون في دفع عجلة الأفكار في أفريقيا. [المُترجم].
3. "المَعَال": احتفالٌ سنوي ذات طابع ديني وثقافي واجتماعي تُقام في مدينة "طوبى" (السنغال)، وفي العديد من مدن العالم؛ بمناسبة ذكرى خروج خادم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، الشيخ "أحمد بمب" [1853-1927م]؛ (=مؤسس الطريقة المريدية)؛ أو إخراجهِ من قبل المستعمر الفرنسي عام 1895م إلى بلاد وسط أفريقيا (الغابون)، وجزرها. وقد مكث فيها ثماني سنين؛ إلا قليلاً... عاد بعدها إلى البلاد عام 1902م. [المُترجم].
4. هو "المجلس التشريعي الاتحادي" لـ "ألمانيا". [المُترجم].
5. Cheikh Anta Diop, « Alerte sous les Tropiques », Présence Africaine, Nouvelle série, n°: 5, Décembre 1955-Janvier 1956, 1956, pp. 8-33.

Research Africa

Copyright © 2018 by Research Africa, (research_africa-editor@duke.edu), all rights reserved. RA allows for copy and redistribution of the material in any medium or format, provided that full and accurate credit is given to the author, the date of publication, and the location of the review on the RA website. You may not distribute the modified material. RA reserves the right to withdraw permission for republication of individual reviews at any time and for any specific case. For any other proposed uses, contact RA's Editor-in-Chief. The opinions represented in the reviews and published on the RA Reviews website are not necessarily those held by RA and its Review editorial team.